زيد الشهيد

للاستاذ عبد الحميد الرحيلي

جهل الامويين السياسي

كم بين الكتب وطيات الحوادث من عبر وكم بينها من اسرار وعظات تفسر لك اغلاط الحاكمين وسقطات الآمرين وكم بينها من افانين التمويه والافتراء . ولا اريد ان اطيل في ذكر الأمثال والقصص . فهي كثيرة يعجز عدها على المحصين . وانما حديثي اليوم عن حادثة واحدة من هذه العبر وعن غلطة من غلطات التدبير في السياسة وإدارة امور الناس في العصر الأموي وكم في هذا العصر من اغلاط سياسية تمت الى جهل الولاة والحكام . ولا يتبادر الى ذهنك في هذا السياق الكلام عن عصر يزيد بن معاوية واغلاطه فذلك موضوع اعتقد أن كتاب هذا العدد سيوفون حقه . وانما اريد ان احدثك عن غلطة فظيعة اخرى ارتكبها القائمون بالحكم حينذاك . اريد ان احدثك عن غلطة السياسة في تهيئة المحيط لحركة زيد ابن علي بن الحسين وهي غلطة لا تقل فظاعتها عن حركة يزيد .

كان زيد بن علي علماً من اعلام الطالبيين في العلم والحديث والخطابة وكان ذا شمم وشهامة وإباء وزهد وقناعة وهدوء وتساهل واعراض عن كل ما في ايدي الناس وهو صاحب الكلمة المشهورة التي رواها المقريزي في الخطط «لقد خلوت بالقرآن اقرأه فما وجدت فيه في طلب الرزق افضل من العبادة والفقه» .

ولقد كان من تواضعه وتساهله ان خرج على تقاليد العلويين في اخذ بعضهم عن بعض في الحديث والعلم والثقافة فتلمذ على واصل بن عطاء وواصل من تعرف رأيه في علي فقد كان يعتقد ان احد المتخاصمين علي، ومعاوية مخطئ لا محالة وكانت اوقاف علي المشهورة والواسعة تعود الى زيد ويستحق التولية عليها ولكنه تركها كرامة للحسنين ودرأ للحقد قال ابن الاثير : اجتمع عبدالله بن الحسن وزيد بن علي عند والي المدينة خالد بن الحارث بن الحكم للمطالبة بالوقوف وكان يحب ان يتشاتما فلما عرف زيد ذلك قال لعبد الله اعتق زيد ما يملك ان خاصمك الى خالد ابدا .

وكان زيد لابائه واقدامه تتطلع الشيعة اليه في الخروج والثورة على اضدادهم وهو منكش على نفسه هادئ ساكن محتسب حقوقه التي تهدر عند الولاة حتى كان لا يحب ان يتجاهر بالعداء ولا يتجاوز على السلف ممن غصب حق ابائه

وكان فوق ذلك كله حلو الحديث فصيح اللسان قوي الحجة حتى قال عنه عبد الأعلى الشامي في حديث طويل « .. ان زيد بن علي لما قدم الشام ثقل ذلك على هشام لما كان فيه من حسن الخلق وحلاوة اللسان . . »

هذا هو زيد بن علي في زعامته ومهابته واحترامه بين عامة المسلمين فما عمل ساسة العصر الاموي معه وماذا كان موقف الآمرين المتحكمين في رقاب الناس . ولعلك تدرك لأول وهلة انه كان لزاماً عليهم أن يسترضوه وان يحترموه وان يسعوا في محبته وتقريبه اليهم وان يدنوا مكانته حتى يكون عوناً لهم لا إلباً عليهم . نعم هذا اول ما يتبادر له ذهن العاقل والسياسي المحنك ولكنهم لم يفعلوا ذلك وانما فعلوا عكسه تمشياً مع الحقد وارضاءاً لعواطف النفس جهلا بأمور الدولة وادارتها وسياسة الرعية . وقد طمنوا عواطفهم الجامحة في بغض العلويين واعرضوا عما تتطلبه الحنكة السياسية على رغم ان زيداً كان يختلف كل الاختلاف عن بقية العلويين ونظرتهم الى هذه الدولة واتباعها . دخل زيد على هشام بن الحكم في الشام فيمن دخل ليرفع اليه الشكاية من سوء معاملة عماله معه وقد احتشد المجلس باهل الشام « فقال هشام يا زيد ما يصنع اخوك البقرة ... » ودخل عليه في يوم آخر في آخر من اذن له من الناس فقال « السلام عليك يا امير المؤمنين فلم يرد عليه .. » فخرج زيد من المجلس وهو يقول [لن يكره قوم حر السيوف الا ذلوا ..] ويا ليت الأمر يقف عند ذلك ولكن الحماقة والجهالة العمياء في السياسة اتافت على ذلك فقد تولى يوسف بن عمر الثقفي العراق لهشام واخذ يحاسب من قبله خالداً القسري حساباً عسيراً على بيت المال فاراد خالد ان يتخلص من العقاب القاسي فادعى انه اشترى ارضاً بالمدينة

من زيد بن علي بعشرة الآف ديناراً فاعلم يوسف هشاماً بذلك فماذا كان موقف هشام اتراه حقق الأمر لم كتب الى والي المدينة ليحقق ام غض النظر كرامة لزيد ام سأل زيداً عن ذلك . كلا لم يفعل شيئاً من هذا وانما امر ان يستحضر قسراً الى الشام فاحضره وسأله عن الأرض فانكر واستغرب فاستحلفه فحلف له فخلى سبيله . ثم كتب يوسف كتاباً ثانياً يقول فيه [ان خالداً ادعى انه اودع مالا جزيلا عند زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي وداود بن علي ابن عبدالله بن العباس و .. » فما كان موقف هشام من هذا الخبر أليس من الأليق ان يتمهل في الأمر اويتطلب من والي المدينة ان يجلي له الأمر كلا لم يفعل ذلك وانما امر ان يحملوا كلهم بازعاج الى الشام فحملوا مكرهين حتى قال فيهم احد الشعراء حينذاك .

يأمن الطير والظباء ولا يأمن آل النبي عند المقام

فلما حضروا عند هشام سألهم عن المال فانكروا واستحلفهم فحلفوا . وبعده أيكتفي هذا السياسي المحنك بذلك كلا وانما قال لهم انا باعثون بكم الى يوسف بن عمر ليجمعكم مع خالد فقال زيد نشدتك الله والرحم الا تبعث بنا اليه فانا نخاف ان يتعدى علينا فقال كلا . فحملوا الى الكوفة فسألهم يوسف عن المال فانكروا وقال له زيد كيف يودعني المال وهو يشتم آبائي على المنبر فاخرج خالد لهم فقال انما قلت ذلك من شدة العذاب ورجوت به الفرج .

نعم رجا هذا الوالي السياسي ببذا الأدعاء الفرج لظنه ان امثال هؤلاء يجاملهم سياسياً هشام ويتساهل معهم ويتمهل ويتريث وما درى ان هشاماً ابعد عن فهم اصول السياسة ودقائقها واضعف من ان يفهم متطلبات الزعامة والأمارة ..

ولملك بعد هذا تعرف لماذا « غضب الشيعة في الكوفة والبصرة من هذا العمل وهذه السياسة الخرقاء فحرضوا زيداً على الثورة ولماذا حرص زيد على هذه الثورة واهاجه اباؤه وشهامته ولماذا حرضه وبايعه اكابر فقهاء المسلمين في العراق كالأعمش ومسعر بن كدام وسفيان الثوري واضرابهم واخذ الناس يبايعونه ويكاتبونه من اطراف الموصل والجزيرة والبصرة وواسط والمدائن والري وخراسان وجرجان كما يذكر ذلك في الفخري . وماذا عمل هشام حين سمع بهذه

للسيد حيدر الحلي

الله اكبر يارواسي هذه ... الأرض البسيطة زايلى أرجاءها
يلقى ابن منتجع الصلاح كتائباً ... عقد ابن منتجع السفاح لواءها
ما كان أوقحها صبيحة قابلت ... بالبيض جبهته تريق دماءها
مابل اوجبها الحيا ولو أنها ... قطع الصفا بل الحيا ملساءها
من اين تخجل اوجه امويه ... سكبت بلذات الفجور حياءها
قهرت بني الزهراء في سلطانها ... واستاصلت بصفاحها امراءها
ملكت عليها الامر حتى حرمت ... في الارض مطرح جنبها وثواءها
ضاقت بها الدنيا فحيث توجهت ... رأت الحتوف أمامها ووراءها
طلعت ثنيات الحتوف بمصبة ... كانوا السيوف قضاءها ومضاءها
من كل منتجع بزائد رمحه ... في الروع من مهج العدى سوداءها
ماأظلمت بالنقع غاسقة الوغى ... إلا تلهب سيفه فاضاءها
يمشو الحمام لشعلة من عضبه ... كرهت نفوس الدارعين صلاءها

الثورة . اخذ يرسل الكتب بعد الكتب الى واليه في الكوفة وحشوها الأكاذيب والخلاعة والأفتراء ومما كتب اليه [. . اما فقد علمت حال اهل الكوفة وجهم اهل البيت ووضعهم اياهم في غير موضعهم لأنهم افترضوا على انفسهم طاعتهم ووظفوا عليهم شرائع دينهم ونحلوهم علم ماهو كائن حتى حملوهم في تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها الى الخروج وقد قدم زيد بن علي على امير المؤمنين .. فرأى رجلا جدلا لسناً خليقاً لتمويه الكلام وصوغه واجترار الرجال بحلاوة لسانه وكثرة مخارجه في حججه وما يدلى به عند لدد الخصام فعجل استخاصه الى الحجاز ... الى اخر الرسالة الطويلة التي ذكرها الطبري في تاريخه، وانت بعد كل ماذكرناه تعرف قيمة الرسالة ومدى الصدق فيها وتعرف مبلغ الجهل بالسياسة وادارة الرعية في اثارة الحقد على الهاشميين واتباعهم

هذا زيد وما لاقاه وهذه هي عوامل ثورته على الظلم والطغيان والتلاعب بالرعية وقد انتجت هذه الثورة عوامل السخط على الأمويين كما كانت عاملا فعالا في قرب انتهاء امد حكمهم كما كانت عاملا فعالا في ايجاد الفرق الزيدية التي تكونت في الاسلام وتكونت منها تلك الدول الزيدية ذات السطوة والشأن ولا زالت حتى الآن قائمة عامرة .

عبد الحميد الدجيلي